# أواصر

## مجلة فكرية فصلية

العدد الثالث عشر (2023)

الآراء الواردة في هذه المجلة لا تُعبِّر بالضرورة عن توجهات تتبناها مجلة أواصر

## هذه المجلة

تصدر مجلة أواصر الفصلية كمحاولة جادة لمدّ الجسور بين الثقافات والأفكار المختلفة، من خلال نشر دراسات سياسية وفكرية وثقافية متنوعة، تسلّط الضوء على القضايا الملحّة.

تلتزم المجلة بخط تحريري يرحب بتعدد الآراء والأفكار. وسيجد القارئ بين صفحاتها أفكارًا لا يمثّل نشرها بالضرورة دعاية لها أو اتفاقًا معها، بقدر ما يمثّل مسلكًا للتعرف إليها ومناقشتها؛ ذلك أن من بين غايات المجلة التخفيف من طغيان المذهبيات الفكرية والتحيّزات بأنواعها لمصلحة الفهم والتفاهم. إن تعدد الرؤى أكثر نفعًا وإثراء للمعرفة من حشد الآراء المتوافقة، ونحن بحاجة دومًا إلى الإصغاء إلى صوت من نختلف معه حتى نرى العالم بكل أطيافه.

تهتم المجلة إلى جانب ما سبق بترجمة ما تراه مهمًّا لأداء رسالتها من المقالات والبحوث، وتشمل حيّزًا للتعريف بعدد من الإصدارات ذات الصلة.

أملنا أن تكون المجلة منبعًا من منابع الفكر والثقافة والتفاهم، وأن يُسهم ما تنشره من مقالات وآراء ولقاءات في افتتاح مجال فكري، يخفّ فيه لغط التحيّز، لترتفع نبرة المطارحة الجادة واللقاء البنّاء.

**الآراء الواردة في هذه المجلة لا تُعبّر بالضرورة عن توجهات تتبناها مجلة أواصر**

رئيس التحرير

**محمد الأحمري**

مدير التحرير

**سلمان بونعمان**

هيئة التحرير

**امحمد جبرون**
**عبد الواحد العلمي**
**سيدينا ساداتي**
**رياض المسيبلي**
**إبراهيم الدويري**

عنوان المراسلات

**Association Awaser (Liens) Chemin des Vignes 2bis**
**Postcode: 1209 - Geneva - Switzerland**

الموقع الإلكتروني

**www.awaser.ws**

البريد الإلكتروني

**info@awaser.ws**

الرقم الدولي

**ISSN 2504-4281**

أواصر
العدد الثالث عشر
(2023)

**في ظلال المونديال** 8
محمد الأحمري

## ملف العدد

**الدين والإصلاح السياسي عند جمال الدين الأفغاني** 19
سلمان بونعمان

**مركزية الوعي السنني في المشروع الإصلاحي للإمام محمد عبده** 37
رشيد كُهُوس

**الكواكبي بين التجربة الخاصة والتأثر العام** 59
رغداء زيدان

**مسار التجربة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين** 75
إبراهيم مزاري فضيل - عربي بومدين

**محمد بن الحسن الحجوي رائدًا من رواد الإصلاح التربوي التعليمي** 101
إبراهيم بوحولين

**التطلع إلى الغرب وأزمة التفكير النهضوي** 115
محمد علا

# المحتويات

## حوارات


**الفكرة الإصلاحية: مراجعات في التنظير والممارسة** 136

حوار مع الدكتور سعد الدين العثماني

**الإصلاح والنهوض عربيًّا في ضوء التجربة اليابانية** 146

حوار مع الدكتور ناصر يوسف


## دراسات وأبحاث


**الأزمة الأوكرانية من منظور الواقعية** 168

علي فاضلي

**الطّور الجديد من التحديات أمام الجيل "Z" في فلسطين** 186

معاذ العامودي

**الأزمة التونسية إلى أين: الفاعلون والسناريوهات المحتملة** 691

مصطفى عثمان الأمين

أواصر | العدد الثالث عشر (2023)

## ترجمات

**نعم هناك صراع حضارات:**
**حضارة الاستغلال ضد حضارة التضامن الإنساني** 217
فريد إسحاق

**هل التربة الأوروبية تتغير تحت أقدامنا؟** 223
برينو لاتور

## مراجعات

**ما بعد الإنسان** 240

**حركة القومية الهندوسية وكيف غيرت الحياة السياسية الهندية وهمشت المسلمين** 253

**الواقعيون الأطلسيون:**
**الإمبراطورية والفكر الدولي بين ألمانيا والولايات المتحدة** 267

# الإصلاح والنهوض عربيًّا في ضوء التجربة اليابانية

حوار مع الدكتور ناصر يوسف الباحث والمشرف الأكاديمي بالجامعة الإسلامية العالمية -ماليزيا

أجرى الحوار: عبد الصمد بنعباد

ينطلق المفكر النهضوي الدكتور يوسف ناصر في هذا الحوار من فكرة التنمية المركبة، التي ولّدها وطورها، انطلاقًا من استحضار النموذج النهضوي الياباني، الذي يعتبره الأكثر قربًا من حيث الأسس الاجتماعية والأصول الثقافية إلى النموذج العربي. يعتقد ناصر يوسف، أن التجربة اليابانية مغرية للعالم العربي لأنها قدمت نموذجًا للتعاضد بين السلطة في شخص الإمبراطور رمزًا، والشعب قاعدةً، والقيادة نخبةً، واتفقوا على النضال بشكل مركَّب من أجل استعادة الإنسان واليابان من إدارة الاحتلال التي تحسن التفكيك.

ويشدد في هذا الحوار الممتع على أن استقامة الغرب تتمثل في (الحرية) بوصفها قيمة ثقافية وحضارية، جلبت لهم التنمية المستدامة، في حين أن استقامة اليابان تتمثل في (الطاعة والولاء) بوصفها قيمة تاريخية وثقافية وحضارية ودينية، جلبت لليابان التنمية المستدامة، وجعلت من التنمية المركّبة فاعلة. ويتساءل عن سبل نهضة العرب بعد تضييعهم للدين؟

ويدافع ناصر بأن التنمية كانت قائمة في عالم المسلم؛ ولكن تقطّعت بها السبل، لما خانت الدولة الأمة؛ فأردتها أمة مسلوبة الإرادة، بحرمانها من القدرة. فهناك خيانة في الداخل تتجلى في إقصاء الأمة من فوائد التنمية وعوائدها، وهناك خيانة لمواقف الأمة ومبادئها عبر

استبعاد الدين في منظومته الكلية، ومن المشاركة في التنمية خوفًا من حصول العدالة التي تهابها السلطة وتفزع منها.

**س1: في كتابكم مسالك التنمية المركّبة، تحدثتم عن شيء تمتلكه اليابان، وهو ثلاثية إنسانية إنمائية. هل يمكن تقريب هذه الفكرة للقارئ العربي؟**

**ج1:** في البدء، كانت لفكرة التنمية المركَّبة قصّة مع أطروحتي الجامعية حول الاقتصاد الياباني والدروس المستفادة للعالم الإسلامي. وقد شكّلت كلمة (المستفادة) مدخلًا لتصميم فكرة التنمية المركّبة. كان السؤال: كيف أثري أطروحتي؟ وكيف أفيد القارئ العربي؟ لا سيما أن الاقتصاد الياباني قد أفاضوا فيه ولم يتركوا لنا ما نضيف إليه. وعليه رأيت أن أختار طريقًا آخر، هو أن أضفي على الاقتصاد الشيئي الأحادي البعد أبعادًا فكرية وحضارية ودينية؛ فبدأت فكرة التنمية المركّبة تتشكّل من داخل هذه الأبعاد المتعدّدة. والعبرة أنه إذا استحضرنا فينا الإنسان -المفكّر أو المثقف أو الكاتب- المتعدّد الأبعاد، فإننا نحصّل شيئًا ما يفيدنا ويفيد الآخرين، سواء بالقبول أو النقد أو التحفّظ.

كان هاجسي الأكبر -في مرحلة إعداد أطروحة الدكتوراه- هو: كيف أختار عنوانًا لعملي الأكاديمي، كيف أنتقل بنصي المعرفي من الحاضر البئيس إلى المستقبل الأنيس، كيف أكتب نصًّا عمليًّا له القابلية للتفعيل وللتنزيل، عسى أن استأنس بأبحاث مستقبلية جادّة من حيث الإنجاز والإبداع والتميّز؟ كنت أبحث عن أطروحة ولادة تلد لي أبحاثًا وكتابات ثرية ومثرية في المستقبل... كان المستقبل يشغلني، ولكن بحكمة الماضي.

استقيت فكرة التنمية المركّبة من الواقع الياباني المنظور وليس المسطور بالضرورة، وذلك عبر الملاحظة الذكية وإعمال فهمي للأحداث التاريخية والحضارية والدينية في اليابان القديمة والحديثة والمعاصرة. لم أطّلع على فكرة التنمية المركّبة في الكتابات والتنظيرات؛ لأنه لم يُكتَب فيها من قبل، لا على مستوى المصطلح، ولا في محتوى التنظير.

لم تكن أطروحتي الجامعية كافية لإبراز فكرة التنمية المركّبة؛ وإلا انحرفت عن مقصودها وما قصدته منها. فلم أكتف بالأطروحة لنيل شهادة علمية، بل فكّرت في إخراجها من الرفوف حيث تقبع في مكتبة الجامعة، والدفع بها إلى الصفوف الأمامية حيث النشر لتحصيل

المقروئية لعملي، أو الحشر لتقبّل المساءلة عن هفواتي والنقد لأخطائي. قمت باقتطاع فصل من أطروحتي، طوّرته وبدّعته، ثم أرسلته إلى مجلة علمية عربية راقية ترفض أكثر مما تقبل، وانتظرت الرفض بطبيعة الحال، ولكن كان نصيبه القبول الحسن؛ حيث اعتبروا أنه جاء بإضافة نوعية للمجلة وللقارئ، وتكّرر الأمر نفسه مع مجلة أخرى أكثر رقيًّا.

إذن، فكرة التنمية المركّبة بدأت تخرج من بداية الطريق إلى منتصف الطريق؛ حيث قام مركز دراسات الوحدة العربية العريق والعتيق في قوميته العربية بنشر أطروحتي الأكاديمية. وبعد أن لقي الكتاب القبول الحسن، كتبت كتابًا آخر حول التنمية المركّبة طبع في المعهد العالمي للفكر الإسلامي العريق والعتيق -هو الآخر- في رسالته الإسلامية؛ حيث غدت فكرة التنمية المركّبة مقبولة لدى المجاميع الفكرية والمعرفية على اختلاف مشاربها؛ فالعمل يلقى صدى عندما ينشر في مراكز بحثية لا يسعها مدى. كما تقبّلت الأوساط العلمية فكرة التنمية المركّبة بالرصد والنقد؛ وهذا هو الحشر الذي يأتي بعد النشر.

وكما تعلمون، قبل تأليف كتابي المسالك، كنت قد طرحت فكرة التنمية المركّبة في كتابي **دينامية التجربة اليابانية في التنمية المركّبة**، الذي نشره مركز دراسات الوحدة العربية عام 2010؛ حيث استحضرت الأنموذج الإنمائي الياباني وتوسّلت به الإفادة وليس الإعادة، ووقفت على أن اليابان بعد الحرب العالمية الثانية دُمّرت منجزاتها المادية؛ ولكن بقي الإنسان الياباني يحتفظ بروح الإنجاز والعطاء والبقاء، حيث تعاضدت السلطة في شخص الإمبراطور كرمز، والشعب كعامة، والقيادة كنخبة (سلطة + عامة + نخبة)، وناضلوا وكافحوا مركَّبين من أجل استعادة الإنسان واليابان من إدارة الاحتلال الأميركي التي تحسن التفكيك.

فكان الإمبراطور -الذي تنازل عن ألوهيته المثيولوجية واكتفى بأن يكون رمزًا مقدّسًا- بمثابة المحفِّز والمؤثّر. أما النخبة كقيادة فكانت بمثابة المنسِّق الأمين بين الإمبراطور والأمة، التي تعجز عن أن تنجز ماديًّا ومعنويًّا إذا لم يتوفر لها القالب المثالي، الذي تتلقاه من الرمز عبر النخبة الأمينة والحكيمة؛ أما الشعب الطامح كعامة فهو الرقم الحاسم أو المنجِز في معادلة التنمية اليابانية المركَّبة. فالإمبراطور الذي تنازل عن مكانته المتألّهة من أجل إنقاذ اليابان، والنخبة التي حاورت إدارة الاحتلال الأميركي وأقنعتها بمعاناة اليابانيين، والعمال

العامة الذين لم يساوموا في أرضهم ولم يتفاوضوا مع إدارة الاحتلال من أجل الأجور؛ هذه الثلاثية الإنسانية الإنمائية المركّبة منحت للاستثمار الاجتماعي الياباني بُعدًا إنمائيًّا ماديًّا فاعلًا. وبفعل هذه الثلاثية الإنسانية تكون اليابان قد انتقلت من الوجود المفكّك إلى فلسفة الحضور المركّب. أما كتابي المسالك، فهو مكمّل ومزيد ومتعمّق في كتابي الدينامية. فالتنمية المركّبة هي مشروع فكري متسلسل وسلس نعكف عليه.

**س2: في مشاريعكم الفكرية وكتبكم المعرفية تتحدثون عن القيم الثقافية، كيف تعرفونها؟ وما دورها؟**

**ج2**: طبعًا، لليابان تاريخ عريق وعتيق، ورواية مشوِّقة ومسوَّقة، زيارتها ليست كقراءتها. فالإنسان الياباني قيم تمشي وتتحرّك. الإنسان الياباني في حدّ ذاته إنجاز؛ أنجزته هذه القيم، فصنع لها تاريخًا. عندما تقابل الإنسان الياباني تقابل التاريخ والقيم والإنجاز؛ فهو إنسان غير مفصول عن قيمه التاريخية والحضارية. للوهلة الأولى، تكتشف أنك أمام إنسان مختلف عن الآخرين؛ وهذه ميزة من صنع القيم التاريخية والدينية المانعة. كما تكتشف أنك أمام إنسان مؤتلف مع نفسه ومع مجتمعه ومع العالم؛ وهذه ميزة من صنع القيم الحضارية والإنسانية الجامعة؛ فالحضارة أن تعيش في جماعة بتعبير بن نبي.

نقلت القيم التاريخية اليابان من البداوة إلى التحضّر؛ فصارت قيمًا حضارية وإنسانية. القيم الحضارية تخرج من القيم التاريخية. الائتلاف يخرج من الاختلاف. وهو أن تكون منخرطًا في العالم المتحضر ومؤتلفًا معه كما هو حال الإنسان الياباني، وفي الوقت نفسه تكون مختلفًا اختلافًا يمنعك من الذوبان فيه. فالقيم التاريخية والحضارية تعلّمك كيف تكون مختلفًا ومؤتلفًا في آن، وأنت تمشي في طريق الناجحين من غير أن تفقد ميزتك الدينية المبدعة والمميزة.

ما هو خاف أن القيم التاريخية هي التي تُنجز وتؤدي؛ هذا إذا كان الإنسان قائمًا عليها حاملًا لها، وهي التي تجعله فاعلًا وعاملًا. ومن غير تمثلها، يعجز الإنسان عن العطاء والبقاء. فالإنسان، أيًّا يكن، هو واحد في تشكيلته البيولوجية؛ ولكن يختلف عن غيره من الأمم في تشكيلته الاجتماعية. فاللغة والدين كقيم ثابتة هي التي يُنجِز بها الإنسان؛ وإلا كيف نفسّر فشل إنسان أو أمة في عصر، ونجاح إنسان أو أمة في العصر نفسه، على الرغم من أن

تشكيلتها البيولوجية واحدة؟ ألا يمكن أن يكون السر كامنًا في القيم التاريخية والحضارية التي تشكّل في الأخير القيم الثقافية؛ حيث تكون الاستقامة مسؤولة عن الاستدامة؟

هنا يأتي دور الدين لتمييز الإنسان أو الأمة من الآخرين، فيجاريهم في تفوقهم، كما حصل مع الأمة اليابانية التي أنجزت في حالات، وأعجزت غيرها في حالات أُخر. إنها القيم التاريخية والحضارية التي تجعل الإنسان متعدّد الأبعاد في نصوصه ومقوله وحلوله؛ ينطلق ليخترق. وليس كحال المسلم المعاصر الأحادي البعد، الذي كلما انطلق انغلق. الوعي بالقيم هو قيمة في حد ذاتها كما يحاجج المهدي المنجرة. إن قيمة القيم أن ننتج إنسانًا متعدّد الأبعاد، يكون مبدعًا لا تابعًا.

إذن، القيم التاريخية والحضارية والثقافية هي نظرية في الأخلاق والسلوك والتصرفات والأداء والإنجاز والإبداع، يشكّل الدين بنيتها الرئيسة. فلكي يمتثل المسلم المعاصر قيمه التاريخية والحضارية، يفترض أن تكون له نظرية في القيم الدينية. أن يسمي الأشياء بأسمائها، وألا يتحرّج من كلمة "الدين"، وألا يستبدل القيم الإنسانية بالدين كما هو شائع في كتابات الإسلاميين المعاصرين. عليه أن ينزل هذه القيم الدينية من عليائها إلى أرض التنمية؛ أي مشاركة الدين للتنمية. التنمية تحصل بالواجبات، والدين ينمّي الواجبات بالحقوق. فالحقوق الإنمائية في عالم المسلم ضائعة لأن الدين مضيّع إنمائيًّا وممزّق، بينما الواجبات لا تؤدي الغرض الإنمائي؛ لأن التنمية في عالم المسلم مرقّعة بالتبعية، وهي نفسها التنمية المختزَلة. ولهذا نعتقد أن التنمية لن تقوم لها قائمة إلا بالدين كمنظومة -تاريخية وحضارية وثقافية- كلية تصيب أكثر مما تخطئ.

ولعل عناصر التعليم والعمل وبذل الجهد والتضحية وعلو الهمة، تشكّل قيمًا جامعة تشترك فيها كل الأمم الناجحة. وسبب ذلك أن الأمم -ومنها اليابان- لديها دافع ديني وتاريخي وحضاري -يتحرك في الزمان والمكان- يجعلها توظّف هذه القيم التاريخية والحضارية في التنمية وإعادة البناء في كل عصر طارئ. ودورها هو الحفاظ على الاستمرارية الإنمائية، ومن ثم تحقيق الاستدامة التي لا تحصل إلا بالاستقامة؛ أي بالقيم الدينية. فاستقامة الغرب تتمثل في الحرية كقيمة ثقافية وحضارية جلبت لهم التنمية المستدامة، واستقامة اليابان تتمثل

في الطاعة والولاء كقيمة تاريخية وثقافية وحضارية ودينية، جلبت لليابان التنمية المستدامة، وجعلت من التنمية المركّبة فاعلة. أما عن المسلمين فلهم أن يبحثوا عن القيمة التي أضاعوها في معيشتهم؛ وهل الاستقامة لدى العرب والمسلمين إلا الدين في مقاصده الإنمائية العليا؟

**س3: قضية مركزية في الثقافة اليابانية هي تحول الإمبراطور من "إله" إلى "رمز"، صحيح أن الفكرة غير مطروحة عربيًّا / إسلاميًّا، لكن شئنا أم أبينا هناك تقمص لوظيفة "أقل" من الإله و"أكثر" من الحاكم. هل يمكن حدوث تطور في هذا الاتجاه؟ بمعنى هل وجودها حاليًا يشكّل عائقًا أمام النهضة الإنمائية؟**

**ج3:** جاء عن أرسطو أنه لكي تعيش خارج المجتمع ينبغي أن تكون إما حيوانًا أو إلهًا، وحكام آسيا -ويعنينا هنا حكام اليابان- عاشوا في السابق مثل الآلهة خارج المجتمع، وهو ما جعل الأمة اليابانية عاجزة عن العطاء في ظل لاءات الحكام وإملاءاتهم المقدّسة في معتقدات اليابانيين الدينية والمثيولوجية. فالأمة تعجز عن العطاء عندما تكون السلطة -أو الحاكم أو الرمز- عاجزًا عن البقاء في الوسط الاجتماعي، وليست له قابلية للإسهام في البناء. ولكن أمة اليابان في كل الأحوال كانت محظوظة بحكامها سواء كآلهة مثيولوجية أو كإنسان رمز يطفح بالإنسانية. فوجود الإمبراطور الياباني كسليل للآلهة جلب الاستقرار السياسي في عصر توكوجاوا الإقطاعي حيث ساد الولاء والوفاء؛ وهو ما أدى باليابانيين إلى الوقوف في وجه الاحتلال الأميركي الذي صمّم على إيذاء الإمبراطور بالعقوبات التي طالت العسكريين وأرباب الشركات التي مولّت الجيش الياباني؛ فعدّوا الإمبراطور خطًّا أحمر لا يمكن المساس به كشخص مقدّس. أما وجود الإمبراطور كإنسان أو رمز في منتصف القرن العشرين، فحقق معجزة الاستمرار الاقتصادي والإنمائي، ومن ثم تحرر الإنسان الياباني من عقدة أن الإمبراطور بوصفه سليلًا للآلهة يبارك الأعمال والأفعال على قلتها. فرأينا جهود الإنسان الياباني قبل تنازل الإمبراطور عن ألوهيته المثيولوجية، ليست هي الجهود نفسها بعد الحرب العالمية حيث تحول الإله إلى رمز مطاع، ولم يعد ذلك الآمر والناهي والرافض الذي يجعل الاقتصاد يصدأ قبل أن يبدأ.

وعلى الرغم من حضور الإمبراطور الياباني كرمز؛ فإن الحريات الأداتية لم تُنتَقص من أطرافها، بخلاف الصين التي قضت على الإمبراطور والإمبراطورية، ووضعت مكانها مؤسسات حاكمة تفتقر إلى العدالة؛ حيث أوقفت الإنسان الصيني عاجزًا عن العطاء في مستهل القرن العشرين، وغير قادر على امتلاك الحريات الأداتية بما يتناسب مع جهوده الجبارة في القرن الحادي والعشرين. إذن، الإشكال ليس في وجود الإمبراطور من عدمه؛ وإنما ماذا سيضيف هذا الإمبراطور أو غيره إلى مجتمعه. وهذا ما قام به إمبراطور اليابان الرمز الذي غدا أكثر فاعلية، وهو يعود إلى منصبه كإنسان محفّز ومعطاء. هذا الذي يريده العالم العربي والإسلامي. يريد حاكمًا مشاركًا وشريكًا؛ وليكن لهذا الحاكم ما شاء من أوصاف وألقاب.

نعتقد أن مشكلة العالم العربي والإسلامي هي مشكلة دولة أذلّت أمة، وأوقفتها عاجزة عن العطاء. الأمة كغالبية هي على حق في مطالبها المشروعة، فقط تحتاج إلى من يأخذ بيدها إلى هذا الحق المشروع. والدولة -أو السلطة- كأقلية مطالبة بمراجعة منظومتها الحاكمة والظالمة، كما حصل مع إمبراطور اليابان الذي راجع منظومته العقدية التي نصبته سليلًا للآلهة؛ فانصاعت الأقلية للأغلبية لمصلحة إعادة البناء؛ فكان ذلك مدخلًا للتنمية المركّبة.

صحيح أن الإمبراطور الياباني راجع منظومته العقدية الحاكمة تحت ضغط إدارة الاحتلال الأميركي؛ ولكن حصل ذلك من أجل إنقاذ اليابان واليابانيين. وكذلك يفترَض من الحاكم العربي الشرعي أن يراجع منظومته الحاكمة تحت ضغط التخلف والفقر والحرمان من أجل تحصيل الحياة الكريمة للمواطنين. ولعل الدين في مقاصده العليا والمستنيرة، يحقق انفراجة أمام المراجعة كما حدث في عصر الخليفة عمر عبد العزيز، وفي عصور أخرى متقطعة. علمًا أن الدين والقيم اليابانية هي من مهّدت لمراجعة حاكمية الإمبراطورية المطلقة؛ فالمعتقد الديني المثيولوجي في ألوهية الإمبراطور الياباني أسهم في تحويل الإمبراطور إلى مجرد رمز مقدس، وذلك في ظل وجود آلهة أخرى في المثيولوجيا اليابانية. فتنازل الإمبراطور عن ألوهيته لا يعني أن اليابان ستكون من غير آلهة، وهذا ما شكّل عزاء لليابانيين الذين تعودوا على الإمبراطور كسليل للآلهة. ففي المعتقد الياباني الديني المثيولوجي أن الجزر اليابانية هي بنات الآلهة وليس

الإمبراطـور وحسـب؛ فقـط ذاك ناطـق، والأخـرى صامتـة وصامدة. ومـن منظـور الإمبراطور الـذي تنـازل عـن ألوهيتـه عن طواعية، لأن شـعبه لم يطالبـه بذلك، فهو تنازل مـن أجل أن تعيش الجـزر اليابانيـة -بنـات الآلهـة- في ازدهـار وتقدم دائمـين. كـما أن مراجعة الإمبراطـور لحاكميته المقدّسـة والمطلقـة كانـت لفائـدة التعـالي باليابـان إلى مصـاف الـدول الناجحة. ومن هنـا يفترَض أن يكـون الديـن -في عـالم المسـلم- أعـلى مؤسسـة محوكِمـة، وليس بالـضرورة تكـون حاكمة في ظـل وجود حاكـم شرعي.

إذن، التطـور لا يحصـل إلا إذا عرفـت الدولـة مصلحـة الأمـة؛ حيث تكمن مصلحـة الأمة في دينهـا التـي كانـت -ولا زالـت- لا شيء مـن دونـه. وتلـك هـي المصلحة الباقيـة التي تفيـد منها الأجيـال المتبقيـة. فالتنميـة المسـتدامة كغايـة نبيلـة هي ما اسـتقامت بالديـن في مقاصـده الإنمائية كوسـيلة وغايـة جليلتين. فالاسـتدامة تقتضي الاسـتقامة.

التنميـة -في كل الأحـوال- كانـت قائمـة في عالم المسـلم؛ ولكـن تقطّعت بها السـبل لما خانت الدولـة الأمـة؛ فأردتهـا أمـة مسـلوبة الإرادة بحرمانها من القـدرة. فهناك خيانـة في الداخل تتجلى في إقصـاء الأمـة مـن فوائد التنميـة وعوائدها، وهناك خيانـة لمواقف الأمة ومبادئها، عبر اسـتبعاد الديـن في منظومتـه الكليـة مـن المشـاركة في التنمية، خوفًا مـن حصول العدالة التي تهابها السـلطة وتفـزع منهـا، لا سـيما أن العدالـة وظيفـة دينيـة كـما يحاجـج ابـن خلـدون، وذلك قبـل أن تكون وظيفـة سياسـية واقتصاديـة واجتماعيـة، هي الأخـرى غائبة في عالم المسـلم المعاصر. كـما أن هناك تبعيـة للخـارج، وهـذه خيانـة أيضًـا للقـدرات والإمكانات التـي يسـتعاض عنها بـشراء الدولة لوسـائل التنميـة واسـتيرادها، ومـن ثـم تعطيـل الإنسـان وحرمانـه مـن القـدرة؛ وهـو حرمـان متعمّـد، يفضحـه إقصـاء الديـن مـن المشـاركة في التنميـة، خوفًا من وضـع الحقـوق والواجبات في مكانها المناسـب.

تنـازل الإمبراطـور الياباني بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة عـن مكانتـه المطلقـة كان مـن أجـل اسـتعادة الأمـة اليابانيـة المدمّـرة التـي أبقته رمزًا مقدّسًـا، وكان هدفـه النبيل هو أن تُسـتعاد الجزر اليابانيـة -التـي كانـت على وشـك التفكّك- وأن يعاد بناؤها بسـواعد يابانية. بمعنى كي نسـتعيد الإنسـان يفـترَض تنـازل السـلطان لهـذا الإنسـان تنـازلًا معنويًّـا لتحرير قـدرة؛ أي أن يتنـازل له

عـن كل مـا يقيّـد أفعالـه وأعمالـه وأقواله عـن الإضافـة وإعادة البنـاء. تنازل مشروع ومؤسـسي، لا يمـس الحاكـم أو السـلطان في مكانتـه المشروعـة، كما هو حـال الإمبراطور كرمز، ولا الإنسـان كعامـة ونخبـة في اليابـان. وفي هذا مسـالك للتنميـة المركّبة.

هـذا التركيـب الإنسـاني والإنمائـي يعـدّ مدخـلًا مبـاركًا إلى النهضـة، كما حصل مـع التركيب في عـصر الخليفـة عمـر بـن عبد العزيـز، والذي جاء بعـد مرحلة تفكيك الإنسـان عن السـلطان. هـذا التفكيـك شـكّل عائقًـا أمـام تحصيـل تنميـة ونهضـة. ومـا زال يشـكّل تهديـدًا للإنسـان والسـلطان في عـالم المسـلم المعـاصر. فالاسـتعمار كعامـل مفـكّك فصـل التنميـة عـن الدين؛ لأن الاسـتعمار -وأيضًـا التخلـف- ينشـط في غيـاب الديـن كمنظومـة كلية إنمائيـة؛ فتتحـول التنمية إلى تبعيـة نتيجـة إقصـاء الديـن؛ حيـث في الاسـتعمار تبعيـة، وفي التبعيـة قابلية للاسـتعمار وقابلية للمغلوبيـة. غـادر الاسـتعمار -كتخلـف- وبقيـت التبعيـة لهذا التخلـف. هذه التبعية هي نفسـها القابليـة للتفـكك الـذي يحسـنه الاسـتعمار في الفصـل بين الإنسـان والسـلطان.

والعـبرة مـن تنـازل الإمبراطـور عـن حاكميتـه المطلقـة أنـه قطـع حبـل القابليـة للاحتـلال الأميركـي، أو في الأقـل جعلـه قصـيرًا ومحـدودًا غـير ممـدود؛ حيـث أعـادت اليابان بنـاء جزرها بسـواعد وعقـول يابانيـة، وهـي نفسـها العامـة والنخبـة اليابانية التـي ردّت الجميـل للإمبراطور الـذي أنقـذ اليابـان مـن التفـكّك المحتمَـل، والمخطّـط لـه مـن قبـل الغـرب الـذي يلعـب بوتـر التفكيـك، نظـرًا إلى ماضيـه الاسـتعماري السـيّئ.

إذن، التجربـة اليابانيـة في التنميـة المركّبـة عـلى مسـتوى الإنسـان والسـلطان، الأمـة والدولة، فيهـا الكثـير مـن الـدروس والعـبر في تحصيـل التنمية والنهضـة في العالم العـربي، والتطلـع الدائم إلى العطـاء والبقاء.

**س4: ثلاثيـة الرمـز والقائـد والشـعب الطامـح هـل هـي ممتنعـة في العـالم العـربي؟ وفي حـال وجودهـا مـا الـذي ينقـص الأمـة لتحقيـق النهضـة المنتظـرة؟**

**ج4:** في غيـاب الحريـات الأداتيـة التي فصّـل فيها أمارتيا صن يتعذّر تحصيل الثلاثية الإنسـانية المركّبـة (سـلطة، عامـة، نخبـة) في العـالم العـربي. هذه الحريـات الأداتيـة الإيجابية هـي: الحريات السياسـية، والتسـهيلات الاقتصاديـة، والفـرص الاجتماعيـة، وضمانـات الشـفافية، والأمـن

الوقائي. هذه الحريات الخمس تعد من صميم القيم التاريخية والحضارية التي جعلت الأمة الإسلامية أمة غالبة في لحظة زمنية وجيزة وعزيزة، وهي الحريات نفسها التي رفعت اليابان إلى عليين بعد عقد من الدمار النووي.

وإذا فرضنا أن التنمية المركّبة، حصلت من غير مانع داخلي أو خارجي، فإن على الأمة الإسلامية ترجمة هذه الحريات الأداتية الإيجابية إلى قيم ثقافية تتشرّبها؛ حيث يكون فيها للدين الكلي في مقاصده العليا دور في ضبطها وتوجيهها في المسار الصحيح المستديم والمستقيم. وهو ما قد يعين الأمة على أداء الواجبات بشكل مختلف غير متخلف، وتحصيل الحقوق بشكل مؤتلف مع طبيعة التغيير وإعادة البناء.

نعتقد أن هذه الحريات الأداتية تكون لها قابلية للتحول إلى قيم ثقافية في عالم المسلم المعاصر عبر تعميم المساواة في التعليم النوعي، وتشكيل العقل العربي والمسلم بوعي ديني وحضاري وإنساني لا شطط فيه؛ لأن هذه الحريات الإيجابية، سبق أن ساعدت على نهضة المسلمين الأوائل عبر التعليم والتثقيف والوعي والحركة، ومن ثم معرفة الهدف والوصول إليه... ما ينقصنا هو تحديد الهدف لجعل التنمية المركّبة هادفة.

**س5: التاريخ والقيم الحضارية منطلقات النهضة اليابانية، هل تعتقدون أنها كافية في بيئة عربية إسلامية؟**

**ج5:** إذا كانت القيم التاريخية والحضارية سببًا فيما آلت إليه اليابان من تنمية ونهضة، وكانت مهمة أيضًا في إعادة البناء في عصر ميجي ثم في عصر الإمبراطور هيروهيتو الذي عاد إلى وضعه الطبيعي كرمز كما كان عليه الإمبراطور السابق في عصر توكوجاوا ما قبل عصر ميجي؛ فما من شك في أنها ستكون قيمًا أساسية لكل بلد يطلب النهوض الحثيث. ولكن الإشكال كيف نعيد توظيف القيم التاريخية والحضارية التي كانت عاملًا مهمًّا في نهضة المسلمين الأوائل؟ وأي مسلك تسلك؟

قد تعلمون أن القيم التاريخية والحضارية أتت أكلها في بناء اليابان الحديثة، وأتت ثمرتها مرة أخرى بحصول التركيب الإنساني والإنمائي في اليابان المعاصرة. فمن غير تركيب قد توجد القيم التاريخية والحضارية، ولكن لا تكون حاضرة في إعادة البناء؛ مع الأخذ بعين

الاعتبار أن هناك فرقًا نوعيًا بين الوجود والحضور. هذا الإقصاء للقيم والدين من حقل التنمية هو الذي يجعلها عديمة المنفعة وغير كافية، ولا فائدة ترجى من ورائها. وأيضًا إقصاؤها يجعل الإنسان من غير نفع، وهذا هو حال المسلم المعاصر الذي خان قيمه فخانته بمزيد من التخلف والتبعية والحرمان، بخلاف الإنسان الياباني الذي أظهر الولاء لقيمه التاريخية والحضارية؛ حيث استولى بذلك على عالم الاقتصاد والتكنولوجيا؛ فاستوى على سوقه.

الإعلال ليس في أن القيم التاريخية والحضارية تكفي أو لا تفي بالغرض الإنمائي في عالم المسلم المعاصر، بل الإشكال يكمن في كيفية تحريكها وتذليل مسالكها؛ فهي مهمّة للدفع بعالم المسلم إلى منتصف الطريق الإنمائي. مشكلتنا أننا لم نجرب فاعليتها قطُّ في إعادة البناء. وعليه فإنه باسترداد الدين كمنظومة كلية عليا في حقل التنمية وإعادة البناء، تبدأ عملية الحركة الإنمائية، وتتّضح فكرة التركيب وأهميتها للإنسان والسلطان.

**س6: هل القيم والتاريخ وحدها قادرة على تحقيق الصمود؟ ألا تحتاج البلاد العربية الإسلامية إلى قيم النجاعة والرشد والبراغماتية لتحقيق النهضة؟**

**ج6**: وهل تقوم التنمية والنهضة إلا بالقيم التاريخية والحضارية التي هي ميزة من صنع الدين والإنسان؟ أوَ ليست القوانين الكونفوشيوسية المتمثلة في التعليم والعمل وبذل الجهد والطاعة والولاء، هي قيم اليابان التاريخية والحضارية التي حققت الاستقرار السياسي في عصر توكوجاوا الإقطاعي؟ قد تعلمون أن المهارات تساعد الإنسان على تخطي العقبات الواحدة تلو الأخرى؛ أما القوة فتمنحه الصمود. المهارات هنا هي القيم التاريخية والحضارية التي تذهب بالإنسان بعيدًا فيأتي جديدًا، ولكن الدين كقوة يبقي الأمة حيّة وصامدة.

تختزن هذه القيم بداخلها النجاعة والرشد والبراغماتية، وهي نفسها المهارات التي تحتاج إلى القوة كسند لها. في كتابنا المسالك لا نتحدث عن المهارات فهي مطلوبة بشكل حثيث؛ ولكن يعنينا السند كقوة تبقي المهارات فاعلة. ولعل التركيب الإنساني والإنمائي كسند، أو قوة بنيتها الدين كمنظومة كلية تريد الخير العام، هو ما يجعل المهارات مستديمة.

هنا يأتي المغزى من التنمية المركّبة، والقصد من دور الدين في التنمية، والهدف من إيجاد تنمية مختلفة عن غيرها في مهاراتها وقوتها، وفي الوقت نفسه تأتي مؤتلفة معهم حضاريًّا وإنسانيًّا وكونيًّا. عليك أن تختلف عن الآخرين بوعي ديني للنجاء من التخلف والتبعية لهم.

مقصودنا من توظيف الدين في التنمية، ليس اختزال الدين في القيم كالصحة والثروة والحرية والعدالة، وليس في الفضائل كالنجاعة والرشد والبراغماتية والحكمة والشجاعة والصبر وضبط النفس، وليس في المبادئ الأخلاقية كالصدق والاحترام والتراحم والوفاء والالتزام والتعهد والولاء والطاعة. وإنما قصدنا من ذلك تلك المنظومة الدينية الكلية التي تشمل جميع القيم والمبادئ والأخلاق، أي كيف يعمل الدين كمقاصد عليا جليلة في الممارسة التطبيقية والعملية. نريد دينًا عمليًّا وتطبيقيًّا في عالم المسلم. فالتنمية كعمل وتطبيق بحاجة إلى توأمها الدين كرافعة للإقلاع الإنمائي السليم والحثيث للحاق بأمم انطلقت بعناصر تاريخية وحضارية، هي مقموعة في عالم المسلم المعاصر وممنوعة عنه.

**س7: الدين عامل حاسم في نظريتكم التنموية، عند مقاربة النهضة اليابانية، أي دين؟ وفق أي نموذج؟**

ج7: الدين في مقاصده العليا ضروري ومهم وفاعل لأنه يصنع الفارق النوعي في الاستجابة لما يواجه الأمة الإسلامية من تحديات ومعضلات. فالدين الكلي وحده من يصمد عندما تتساقط النظريات والإيديولوجيات والتطبيقات، التي تقف على أهداف مادية ودنيوية قصيرة المدى. وحتى الحكومات التي تستبعد الدين من منظومتها الإنمائية، سرعان ما تستعيده إنمائيًّا في مناسبات الانتخابات والثورات والحروب، لاستمالة الأمة إلى صفها السياسي الضيق الأفق. فلماذا لا تؤوب هذه الحكومات إلى الدين عن طواعية منها في مرحلة إعادة البناء؛ فيستقر لديها الدين مستقيمًا ومستديمًا؟ تحميه من أن يُستغَل في العنف والإرهاب، ويمنعها من العصيان الذي قد يصيبها من العامة المحرومة من تفعيل دينها في معيشتها العامة، أو من الجهات العدوانية التي تتربص بها الدوائر، وتستغل الدين لتبادل الأدوار والأخطار، وليس لتغيير الأوضاع والأوجاع من السيّئ إلى الحسن.

أزمات الأمم كانت وما زالت أزمات دينية وأخلاقية وسلوكية جرّت إليها الأزمات الاقتصادية المادية. فكل مصلح أو مفلح نراه يتخذ من الدين في مقاصده الكلية وسيلة نبيلة للتغيير الحسن، إلى جانب وسائل أخرى ومعارف أخرى تعزّز من الدين ولا تقصيه. يشكّل شلل الاستمرارية في الأخذ بالوسائل النبيلة سرّ انتكاسة التنمية في عالم المسلم المعاصر. ومن هنا نعتقد أن الدين يمنح المشروعات المادية دفعة إلى الأمام؛ ولكن يفترَض أن يكون هذا الدين دائمًا في الأمام للحفاظ على المكتسبات التاريخية والحضارية.

الهروب من الدين كفاعل إنمائي هو هروب من العصر الإنمائي؛ لأن العصر يتشكّل من داخل مبادئ الأمة وقيمها وفضائلها، والدين هو تاجها الذي يجعل هذه الأمة تعيش عصرها. تمامًا كما تعيش الصين واليابان تقاليدها وثقافتها ودينها في تسويق منتجاتها وفي مواقفها السياسية، وفي إعادة البناء على مستوى اللسان والإنسان، علاوة على أسلوب الحكم الممزوج بعراقة الماضي؛ حيث قامت هذه الأمم الآسيوية بالعيش في الماضي للبناء في الحاضر والتفوق في المستقبل. حتى إن فوكوزاوا يوكيتشي الأب الروحي للنهضة اليابانية يرى أن تحصيل التنمية والنهضة في عصر ميجي تم من خلال كرم السماء وفضائل الأسلاف.

في الإسلام نلفي الدين ليس هو الوراء أو الماضي وحسب، بل هو الأمام أيضًا؛ لأن التنمية هي من صميم الدين الذي شكّل وعي الإنسان لأداء الأفضل والأكمل. وأي تشكيك في الدين -بالاستبعاد والإقصاء- هو تفكيك للأمة، وتعطيل للبناء والنماء. أليس هذا ما يعانيه الدين توأم التنمية -في عالم المسلم- التي لم تعد تعيش عصرها. ليس الدين وحده من لا يعيش عصره كما هي حجة الإقصائيين، ولكن التنمية الأحادية البعد التي يدعون إليها، هي الأخرى لا تعيش عصرها. فالدين ينتقم ممن يخونه؛ انتقام تكون حصيلته التخلف والتبعية والهرولة والبهدلة.

طبعًا لا يعنينا دين أو قيم اليابان. يعنينا أن اليابان وظّفت ماضيها المقدّس الذي أنقذها من الذوبان في حاضر الآخرين الناجحين ومستقبلهم. أي عادوا إلى الماضي بطريق الأمام، ومن ثم فإن التنمية لديهم تعيش عصرها. صحيح أن اليابان استلهمت الأنموذج الإنمائي الغربي بداية من عصر ميجي؛ ولكن لم يخرج ذلك عن حدود الإفادة التي تحترم الغير وتُنزله

منزلتـه، وليـس عـبر الإعـادة التـي تَخْرِم الـذات وتذلّهـا. فالإفادة مـن الأنموذج الإنمائـي الناجح تكـون بالاتجـاه إلى الأمـام حيـث يتجـه الأنمـوذج الإنمائـي إلى الأمام هـو الآخر، وعـدم الإعادة لـه –أو الذوبـان فيـه– تكـون بالتمسـك بالمـاضي حيـث تُحفـظ الثوابت. والعـبرة من العـودة إلى المـاضي بطريـق الأمـام، هي اسـتعادة المـاضي بطريق الإفـادة مـن الناجحين في الحـاضر. فالماضي في ثوابتـه السـامية لا يُسـترجع إذا كان أهلـه لا يرغبـون في التعلـم مـن الآخريـن الناجحين. وإن ترجيـع المـاضي مـن غـير إفـادة من العـصر، يعنـي المزيد مـن التخلف والإسـاءة للديـن، ومن ثم فشـله في حقـل التنمية.

وسـبب ذلـك أن الناجـح الحالي مـرّ من هذا الطريق العـالي؛ فصمّم أنموذجـه الإنمائي الخاص بـه. والخـاص قـد يتحـوّل إلى عـام يفيـد الآخريـن. أي إن إدخـال الديـن الكلي كعامل حاسـم في التنميـة، يترجـم الخـاص إلى عام تعمّ فائدته كـما حصل في الحضارة الإسـلامية الغالبة التي أفادت منهـا الأمـم المغلوبـة. فالنظريات الاقتصادية العالمية من رأسـمالية وشـيوعية تـكاد تكون ممزوجة بالديـن والقيـم؛ وهـا نحـن نسـتفيد منها. ومن هنا يسـتطيع عالم المسـلم إبعـاد هذه القيـم الدينية للنظريـات الاقتصاديـة التطبيقيـة عـبر إشراك الديـن الـكلي في حقـل التنميـة وتصميـم أنمـوذج إنمائـي بديـل غـير عديـل؛ حيث سـلكت اليابان هذا المسـلك البديـل فنجحت إلى حـد بعيد.

في هـذه الحالـة، يفـترَض مـن عالم المسـلم أن يقـف على الأنمـوذج الإنمائي الغالـب في عصره؛ فـلا يقلّـده في وسـائله ورسـائله حتـى لا يـأتي مغلوبًـا ومتبوعًا. يفـترَض أن لا يواجه عالم المسـلم هـذا الأنمـوذج الإنمائـي الغالـب بفكـرة دينيـة مختزَلـة تحسـن النخبـة المنتفَعـة تأويلهـا بـما يخـدم السـلطة ويشرْعنهـا، بـل يواجهـه بوسـائل ورسـائل دينيـة كليـة يمتـح منهـا المهـارات والمعارف والعلـوم، التـي تسـاعده عـلى تقديـم البديـل الإنمائـي الخـاص. ينطلـق مـن الموجـود الإنمائـي الغالـب لتحصيـل موجـود مختلِـف ومتميّـز، مـن شيء مفقود لـدى المختلَف معهم. إنـه الدين في مقاصـده الإنمائيـة الكليـة، والـذي هـو مفقـود لديهـم. من هـذا الطريق مـرّت اليابان؛ فشـكّلت أنموذجهـا الإنمائـي الناجـح. الطريـق الإنمائـي واحد؛ ولكن المسـالك إليه متعـدّدة. وأي خطأ في الاتجـاه يكلّـف الإنسـان حياته ومعيشـته.

**س8: ما العوائق العربية الإسلامية أمام استنبات نموذجنا الخاص للتنمية المركّبة؟**

**ج8:** في كتابي قيد النشر بعنوان (فرضية التنمية المركّبة: استعادة الإنسان المتعدّد الأبعاد)، أحاول أن أبثّ الوعي الإنمائي لدى القارئ. فكلما زادت معرفة الناس بالقوانين التي تحكم الواقع الإنمائي، زادت فاعليتهم في فهم الواقع؛ وهذا هو فهم الفهم.

العوائق في العالم العربي والإسلامي قد تعدّ ولكن لا تحصى. فكلما قمنا بفكّ عقدة ظهرت أخرى أشد تعقيدًا منها. فهناك عوائق ذاتية أمام التنمية المركّبة. إذا كانت الموانع الذاتية للتنمية المركّبة تكمن في الثلاثية المعلومة: السلطة والعامة والنخبة (س، ع، ن)، فإن العوائق الموضوعية تكمن في الثلاثية المجهولة: الشيء والدين والمعرفة (ش، د، ن). فنلاحظ أن التفكيك معلوم ومنظور، ولكن كيفية التفكيك -التي تحسنها السلطة- مجهولة لدى العامة وبعض النخبة؛ أي أن كيفية توزيع (ش، د، ن) غامضة وغير مرئية، وهي أصل الموانع الموضوعية التي تقف أمام الدوافع الذاتية التي قد تكون لها نيّة حسنة في التركيب وإعادة البناء.

إذن، العوائق في العالم العربي ذاتية وموضوعية، نجمت عنها تنمية ولكن تنمية مختزَلة، حيث يُختزَل (الشيء) في السلطة والنخبة المالية، ويقف حكَمًا غير ناطق، أبقى الدين والمعرفة غير ناطقين، وجامدين غير فاعلين في عالم المسلم. وهو ما أفضى إلى تفكيك (س، ع، ن) بمِفكّ (ش، د، ن). اختُزِل الشيء في السلطة، واختزل الدين في العامة، واختزلت المعرفة في النخبة؛ فتعطّلت المؤسسات الاقتصادية والسياسية والدينية والمعرفية، وتمطّلت عن تأدية وظيفتها الاجتماعية والحضارية والكونية.

والنتيجة هي الحرمان الجزئي لدى (س، ع، ن)؛ حيث إن الكل يعاني حرمان قدرة. فالسلطة التي تمتلك الشيء بعنف نلفيها محرومة من الدين والمعرفة، والعامة التي تمتلك الدين وجدناها محرومة من الشيء والمعرفة، بل أيضًا محرومة من تفعيل دينها في معيشتها الإنمائية العامة، والنخبة التي تمتلك المعرفة قد حُرمت من الشيء والدين. بمعنى أن ثلاثتهم يتقاسمون الحرمان بشكل مأسوي توغل فيه مؤسسات الإرث الاستعماري أو القابلية للمغلوبية والتبعية التي تحسن التفكيك الذاتي والموضوعي.

**س9: هل يتطابق مع موقف الغرب من النهضة اليابانية، مع موقفه من النهضة العربية الإسلامية؟ بمعنى هل الحداثة اليابانية متطابقة مع النسق الرأسمالي الغربي؟ ما الفرق بينهما وبين النموذج الإسلامي؟ ما عناصر التمايز والتقارب حضاريًّا ومعرفيًّا وأخلاقيًّا؟**

**ج9:** هناك اختلاف بين اليابان والعالم العربي الإسلامي من حيث موقف الغرب منهما. الغرب له مشكلة دينية سماوية مع الأمم التي لها دين سماوي واضح وصريح كالدين الإسلامي؛ بينما مشكلته غير معقّدة وليست عنيفة مع أصحاب الدين الأرضي البشري.

لو فرضنا جدلًا أن العالم العربي والإسلامي تخلى عن دينه ومبادئه؛ فإنه سيصبح في عقد من الزمن عالمًا إنمائيًّا متقدمًا ومتطورًا. وهذا هو حال الدول التي ليس لها دين سماوي صريح، والتي رفعها الغرب إلى عليين كسنغافورة وكوريا الجنوبية، علاوة على المساعدات الحاسمة لليابان ما بعد الحرب العالمية الثانية خوفًا من وقوعها في الشَرَك الشيوعي، إلى جانب فتح السوق الحر أمام الصين بدافع ترويض التنين الصيني.

كل ذلك لأن هذه الأمم تقف على دين أرضي بشري فيه الكثير من الخرافات وعبادة الإنسان والحيوان؛ وهو ما يجعل هذه الأمم -لا سيما الأمم الآسيوية- تعبد الإنسان الأعلى والأقوى. فهي إن لم تعبده كروح لا يضرها، فإنها تعبده كمادة تنفعها. فالغرب هو معبود الآسيويين. قد يكون المعبود مكروهًا؛ ولكنه مرحّب به كمنقذ مادي. ولهذا فإن الإنسان الآسيوي لا يمكن له أن يبدع إلا وهو تابع؛ أي إنه يجمع بين الإبداع والتبعية؛ وهو ما يجعله يقف في الوسط.

بخلاف عالم المسلم الذي لا يمكنه أن يبدع إذا كان تابعًا؛ وهذا حاله ومآله في الماضي والحاضر والمستقبل. هذا قضاؤه وقدره. عالم المسلم له منظومة دينية سماوية كلية مانعة وجامعة تمنعه من التبعية، وإذا استتبع تمنَّع عليه الإبداع والارتفاع؛ أي إنه يجمع بين اللا إبداع والتبعية. وهنا تعاد إثارة السؤال: إلى متى يظل عالم المسلم متخلفًا؟ نعتقد أنه سوف يبقى عالم المسلم متخلفًا ما بقيت العوالم الأخرى متقدمة غير متخلفة؛ أي غير متخلفة عن دينها وقيمها ومنظومتها التاريخية والحضارية، التي صممت لها أنموذجًا إنمائيًّا ماديًّا جعل

هـذه الأمـم تنعـم بالحيـاة الكريمـة بحسـب ميولاتهـا الأخلاقيـة؛ وهـذا حقهـا الدنيـوي بفعـل جهودهـا وعلومهـا وفنونها.

مكتسـبات النهضـة اليابانيـة مـا قبـل عهـد ميجي ومـا بعده تراقـب الحداثـة اليابانيـة وتمنعها مـن أن تكـون حداثـة غربيـة خالصة. صحيح أن الحداثة اليابانية تسـير بحذر في النسـق الرأسـمالي الغـربي، حيـث نلفي الغرب يشـجعها؛ ولكن هـذه الحداثـة اليابانية لا تفتقر إلى الشرعية السـلفية والتراثيـة التـي تُسـتمَد مـن روح الأسـلاف اليابانيين. فهـي حداثة منافسـة في الزمـان العصري، وليسـت معاكسـة للمـكان الأصـلي. هذا هـو الفرق بـين الأنموذجـين الياباني والإسـلامي. وأنا هنـا أتكلـم عـن عـالم المسـلم المعـاصر الذي صـارت نخبته تتبجّـح بحداثـة غربية غير منافسـة في الزمـان العـصري ومعاكسـة للمكان الأصلي؛ أي معاكسـة للإنسـان والبيئـة والدين.

لا توجـد عنـاصر تمايـز وتقـارب إلا في الميـدان والتطبيـق؛ أمـا في الجوانـب النظريـة فلـكلّ بيئتـه وموروثاتـه. فاليابـان عندمـا أفـادت مـن الغـرب، كانت قـد عاينتـه من كثب عـبر زيارات ميدانيـة وتطبيقيـة. ولهـذا نلفـي فوكـوزاوا يوكيتـشي الـذي زار أمـيركا لأول مـرة في عهد ميجي يقـول: لم أقـف حائـرًا أمـام المعـارف والعلـوم لأني كنـت مطّلعًـا عليها في بلـدي اليابـان، ولكن وجدتنـي حائـرًا أمـام الحريـات. لقـد تُرجمـت هـذه الزيـارات التطبيقيـة إلى أعـمال نظريـة داخل البيئـة اليابانيـة بعقـول يابانيـة مخلصـة للأسـلاف، وكان ذلـك بتكاتـف ميجـي كسـلطة والنخبة العالمـة والعامـة العاملـة؛ نتجـت عنهـا أفـكار وحلـول مختلفة أفـاد منها الغرب نفسـه لا سـيما في مسـائل الإدارة. ولكـن من السـخرية أن السـلطات والحكومات العربية تبعـث النخبة للتعلم من الغـرب؛ بينـما تعجـز الحكومـات نفسـها عـن التعلم من حكومـات الغـرب. وطبعًـا إذا عجزت السـلطة أعْجـزت النخبة.

﴿قُـلْ سِـيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُـرُواْ كَيْـفَ بَـدَأَ الخَلْـقَ﴾. والتنميـة خلـق جديـد بطبيعـة الحال، عـلاوة عـلى أن الإنسـان في هـذه الأرض هـو إنجـاز في حـد ذاتـه بفعل تحريـر قدرة. بينـما في ظل حرمـان قـدرة كـما هـو عليـه عـالم المسـلم المعـاصر فإنـه يتراجـع كل يـوم مئـة عـام إلى الخلـف. وبمنطـق حسـابي فـإن مئـة عـام هـي الفـارق والتمايـز بـين عـالم المسـلم المعـاصر واليابـان. ويوم

واحد هو الفارق والتقارب بين اليابان والغرب؛ حيث قلّص التقدم التكنولوجي لدى الطرفين الفارق إلى حد بعيد.

فالتمايز شاسع بين اليابان وعالم المسلم المعاصر في أمور علمية وعملية وتقنية، والتقارب واسع في المبادئ الأخلاقية؛ ولكن هي الأخرى غير عملية في عالم المسلم الإنمائي، وعلى رأسها الدين. وهذا هو سر قلّة الإفادة من الآخرين الناجحين كاليابان؛ لأن عالم المسلم المعاصر لم يبدأ من حيث بدأوا بالقيم والأخلاق والدين، بل بدأ من حيث انتهوا في عمرانهم المادي وامتلاكهم للشيء. ومن الطبيعي أن ينتهي عالم المسلم مقلّدًا لما امتلكوا؛ فامتلكوه -أي عالم المسلم- ومن ثم صار تابعًا لهم.

**س10: هل يمكن اعتبار الخارج عنصرًا محايدًا؟ بمعنى ما الدور الذي لعبه ويلعبه العامل الخارجي في علاقته بالنهضة؟ هل الاستعمار والتبعية عوامل مساعدة أم عوائق؟**

**ج10**: طبعًا الاستعمار والتبعية شرّان شرسان ولا يقيمان تنمية أبدًا، ومن ثم يقفان عائقًا أمام الدين والإنسان والتنمية. ولكن السؤال: متى كان الداخل محايدًا حتى يكون الخارج غير محايد؟ وكما تعلمون أن معاناة الدين والإنسان والتنمية هي مع الداخل قبل أن تكون مع الخارج. يقول نزار قباني: (إن قضاءنا العربي أن يغتالنا عرب)؛ أي أن نُغتال من الداخل.

ومن هنا، نفكّر في تركيب الداخل حتى نتصدى لأفعال التفكيك التي يحسنها الخارج. صحيح أنه من السلبيات تُستخرَج الإيجابيات؛ ولهذا نتعامل مع الاستعمار كجزء من اللعبة الإنمائية المفروضة على عالم المسلم من الخارج. لعبة ضارة يقتضي تفكيكها حتى تكون بلا جدوى. أي أن تكون بقايا من الزمان الماضي الذي لا علاقة له بالمكان الأصلي حيث إعادة البناء، كما حصل مع اليابان التي جعلت الاحتلال والفوضى مجرد حالة عابرة في القضاء والفضاء؛ إذْ تصدّت له بوسائل التنمية المركّبة؛ فتركّب الداخل لتفكيك الخارج، ومن ثم لم يكن مؤثرًا في المكان الأصلي؛ فللمكان في اليابان عبقريته.

يفترَض من عالم المسلم أن يتعامل مع الاستعمار والتبعية كأزمنة عابرة في الأزمنة والملفات، وليست مستقرة في الأمكنة والمؤسسات حيث الأسرة والمدرسة والأمة والدولة. ومن أسف أن الاستعمار كمنظومة عنيفة استقرت في المكان وهي نفسها القابلية للاستعمار، وصارت هي

المِفَـكّ والمُفـكّك الداخلي الذي يـؤدي دور المفكّك الخارجي. فالتدخل الخارجي لا يسـتطيع فعل شيء مـن غـير تفكيـك في الداخـل. الخارج قـد يكـون محايـدًا إذا كان الداخل مركّبًـا. ولكن فعل التفكيـك في الداخـل يغـري الخـارج عـلى التدخل وتجنّـب الحياد للحصـول على فوائـد وعوائد. فكلـما كان التركيـب متماسـكًا وبنيانًا مرصوصًـا، كان الخارج محايدًا أو منشـغلًا بآخرين مفكَّكين.

مـن هنـا تأتي فكـرة التنميـة المركّبة للتركيز عـلى التحديـات والتدخلات الداخليـة التي غدت غـير محايـدة، وتقـوم بـدور الخـارج الـذي لم يكـن محايدًا قـطُّ. فكـرة التنميـة المركّبة هـي امتحان للداخـل وعـلى رأسـه السـلطة. هـل هي محايـدة أم غير محايـدة؟ هل هـي عامل تفكيـك أم عامل تركيـب؟ انشـغالنا بالخـارج -الـذي يكـون وهميًّـا في حـالات- منعنا مـن رؤية مسـاوئ الداخل ومـدى قوتـه التدميريـة والتفكيكية ما بعد الاسـتعمار. علمًا أن ما بعد الاسـتعمار هو نفسـه القابلية للاسـتعمار غـير المحايـدة والمتغلغـة في كل الأمكنـة حيـث مؤسسـات السـلطة والنخبـة والعامة. هـذا هـو التحـدي الداخـلي الذي يمنـع التنمية المركّبـة، ويقمـع أيّ فرصة للنهـوض الحضاري.

لا يعنينـا الخـارج إن كان محايـدًا أو غـير محايـد؛ فهـو معـروف ومعلـوم للجميـع في أسـاليبه وألاعيبـه؛ ولكـن يعنينـا هـل السـلطة هـي عائـق أم مسـاعد أمـام تحصيـل التنميـة المركّبـة؟ هل تقـف إلى جانـب العامـة والنخبـة لتحصيل الترصيص الإنسـاني الذي يمنع اختراقـه من الخارج؟

**س11: نملـك موقعًـا جغرافيًّـا متميزًا كأمة، كـما نملك موادَّ أولية هي محرك التطور الإنسـاني، فهـل تخلفنـا راجـع لموقـف الغـرب العدائـي؟ أم مرتبط بعـدم امتلاكنا تفكـيرًا اقتصاديًّـا مصاحبًا للخطـاب النهضـوي؟ أم ترانا نعيـد تدوير النظريات ا لاقتصادية دون رغبة في الاسـتيعاب والنقد والتطويـر، ولم لا صياغـة بديل أو بدائل؟**

**ج11:** هـذه مشـكلة وعـي لدينـا. أذكـر أنـه عندمـا تطرقـت إلى فكـرة التنميـة المركّبـة، قـال أحـد المعلّقـين في مواقـع التواصـل الاجتماعـي: مـن أيـن جاءت هـذه الفكـرة؛ فما هـو معلوم أن الأفـكار والنظريـات الإنمائيـة هـي مـا أقرّته الأمـم المتحـدة كالتنمية البشريـة والتنمية المسـتدامة وغـير ذلـك. قـد يكـون هـذا المعلّق عـلى حق لـو أن هـذه الأفـكار والنظريـات الإنمائيـة حققت للعـالم العـربي والإسـلامي أهدافه وجاءت في مسـتوى تطلعاتـه في العيش الكريـم والطيّب. تمامًا

كما حققت هذه النظريات أهدافها الإنمائية في اليابان وغيرها من الأمم الناجحة؛ ولكن لا شيء من ذلك في عالم المسلم المعاصر.

العالم العربي والإسلامي بحاجة إلى نفسه من غير أن يلغي غيره، بل إن الآخرين بحاجة ماسة إليه. ولكن بات هذا العالم العربي والإسلامي مباحًا ومستباحًا؛ فلم يعد موضع اهتمام وتقدير كبيرين من قبل الكبار في عالم التنمية والاقتصاد. العالم العربي والإسلامي بسلبيته ولا مبالاته هو من جلب إليه عداء الآخرين وأطماعهم. كلما كنت سلبيًّا، صرت مسلوبًا في أفكارك ولسانك ومقولك وحلولك وممتلكاتك.

مشكلة العالم العربي والإسلامي داخلية. وكما أنه لم يعرف كيف يتصرف في خيرات الأرض ما فوقها وما تحتها، كذلك لم يعد يعرف كيف يتصرف في الإنسان والدين العنصرين المهمين في إعادة البناء. الخارج قد يسلب خيرات الأرض المتمثلة في الشيء الزائل؛ ولكن الداخل يسلب خيرات الإنسان المتمثلة في الدين والمعرفة الدائمين إلى جانب الشيء معبود السلطة. ومن هنا جاء الحديث في كتابنا عن الشيء والدين والمعرفة (ش، د، م). كيف نوزّع هذه الخير العام على السلطة والعامة والنخبة (س، ع، ن) من غير إقصاء؟

هذه الخيرات المتمثلة في الشيء والدين والمعرفة التي أسهمت في نهضة المسلمين الأوائل، تعد مسلكًا مرنًا لتصميم بديل إنمائي مختلف ومؤتلف في آن. ولكن هذه العامة والنخبة مسلوبة الإرادة وتعاني حرمان قدرة؛ حيث في تحرير القدرة تحرير الأفكار والنظريات والحلول، ومن ثم البحث عن البدائل بإنضاج المسائل. تحرير القدرة هو من فعل السلطة، وإيجاد البدائل العلمية والعملية هو من فعل النخبة والعامة. فلا حلول ولا بدائل في الأفق العربي والإسلامي في ظل حرمان الأفراد من القدرة. نلفي تحرير قدرة كافيًا لجعل النظريات الإنمائية العالمية تخضع للاستيعاب والنقد والتطوير، ومن ثم صياغة البديل كما هو الشأن في اليابان التي لا يعاني أفردها حرمان قدرة.

ما من شك في أن الرغبة في التغيير وإيجاد البديل موجودة وفائضة ومتخمة في عالم المسلم المعاصر؛ ولكن يقمعها حرمان قدرة.

وكما تعلمون، وُجدت النظريات الإنمائية العالمية لترقية الأمم التي تنسجم مع معادلتها الاجتماعية، وكذلك وجدت هذه النظريات لترقية الأمم التي تقوم نخبتها بإعمال الرصد والنقد؛ فالنظريات العالمية تنفع في كلتا الحالتين، سواء للأمم التي أبدعتها وابتكرتها أو للأمم التي رصدتها ونقدتها، ثم أفادت من نتائج الرصد والنقد. واليابان تسلك هذا المسلك الراصد والناقد؛ ولكن يبقى العائق في عالم المسلم المعاصر هو حرمان الإنسان من القدرة التي ترصد وتنقد، نظرًا إلى غياب الحريات الأداتية الإيجابية بفعل التفكيك الذي تحسنه السلطة وتستسيغه بعض النخبة ولا تبالي به العامة.

إذن، مشكلة عالم المسلم المعاصر ليست في أنه لا يمتلك تفكيرًا اقتصاديًّا مصاحبًا للخطاب النهضوي؛ فالتراكم العلمي والمعرفي والفلسفي -إلى جانب كتاب الله وسنّة رسوله- يكفي في أقل من نصف قرن لإثراء مسائل النظريات الإنمائية العالمية الحديثة وإيجاد بدائل تُغني هذه النظريات وتتجاوزها؛ لأن الأمم الفالحة تنهض في أقل من نصف قرن كحال اليابان والصين وسنغافورة.

نكرّر القول إن المشكلة الإنسانية والإنمائية في عالم المسلم المعاصر تكمن في حرمان أفراده من القدرة التي لا تنفع معها التنمية المستديمة ولا الكفايات البشرية ولا الثروات الباطنية المُتبجَّح بها من قبل حكومات العالم العربي والإسلامي. هذه التنميات هي تحصيل حاصل لتحرير قدرة؛ حيث نجحت في بلدان تحرير قدرة، وفشلت في بلدان حرمان قدرة.

هذه البلدان الناجحة، وقبل أن تبذر في أرضها النظريات المادية وتثمر وتنضج، كانت لها نظرية كلية اجتماعية وسياسية وثقافية ودينية مهّدت للنظريات المادية والربحية.

هذا هو بيت القصيد.